



The Distorted Public Sphere in Iraqi Novels of Repression and Tyranny: The Novels of Hamid Al-Mukhtar as a Case Study

Dr. Aqeel Fadhil Zaki (PhD)

Al-Mustansiriya University / College of Basic Education / Department of Arabic Language
aqeelfzh1973@uomustansiriyah.edu.iq

Received Jul13, 2026

Revised Sep. 5, 2026

Accepted Sep6, 2026

Online October1, 2026

ABSTRACT

This study examines the socio-political conditions that configure the public sphere, which aims to generate a balanced relationship among individuals and subject economic, political, and cultural relations within society to discourse ethics, freedom, equality, and justice. Consequently, it investigates the causes and mechanisms that led to its collapse and distortion within the novel's text, which simulates an imagined sociological reality.

The study is predicated on several core hypotheses, including: the absence of the prerequisite conditions for establishing a public sphere; the reading of the novel as a communicative field that empowers marginalized voices to participate in articulating collective discourse; and the premise that the distortion afflicting the public sphere was not merely a physical disruption within public institutions, but rather an expression of the regression of society's deep communicative structure, wherein communicative rationality was supplanted by mechanisms of violence, hegemony, and exclusion.

Relying on communicative action as a primary constituent for the formation of the public sphere in society, the study delineates specific conclusions. These encompass the spatial distortion of institutions, squares, and streets—which divested their natural functions and mutated into spaces of fear, repression, and tyranny—as well as the psychological alienation, loss of belonging, and insecurity experienced by the novel's characters due to the pervasive tension within the public sphere.

Keywords: public sphere, Communicative Action, Communicative Rationality

الفضاء العمومي المشوّه في روايات القمع والاستبداد العراقية روايات حميد المختار نموذجاً
م. د عقيل فاضل زكي

الجامعة المستنصرية/ كلية التربية الأساسية/ قسم اللغة العربية
التخصص الدقيق: النقد الحديث

aqeelfzh1973@uomustansiriyah.edu.iq

الملخص

ترصد هذه الدراسة الظروف الاجتماعية والسياسية التي تشكّل الفضاء العمومي؛ الذي يسعى إلى خلق علاقة متوازنة بين الأفراد، وإخضاع العلاقات الاقتصادية والسياسية والثقافية داخل المجتمع لأخلاقيات المناقشة والحرية والمساواة والعدالة، ومن ثمّ الوقوف على الأسباب والآليات التي أدت إلى انهياره وتشويهه ضمن النص الروائي الذي يحاكي واقعاً سوسيوثقافياً متخيلاً. وتقوم الدراسة على فرضيات رئيسية؛ منها: غياب شروط تأسيس الفضاء العمومي، وقراءة الرواية بوصفها حقلاً للتواصل يُمكن الأصوات المهمشة من الدخول في صياغة الخطاب الجمعي. كما تفترض أن التشوّه الذي أصاب الفضاء العمومي لم يكن مجرد تعطيل مادي في المؤسسات العامة، بل هو تعبير عن تراجع البنية التواصلية العميقة للمجتمع؛ إذ استبدلت بالعقلانية التواصلية آليات العنف والهيمنة والإقصاء. وتعتمد الدراسة على "الفعل التواصلية" بوصفه مادة رئيسة لتشكّل الفضاء العمومي في المجتمع. وقد توصلت إلى أن التشوّه المكاني للمؤسسات والساحات والشوارع جعلها تفقد وظيفتها الطبيعية وتتحول إلى فضاءات خوف وقمع واستبداد، مما أدى إلى الاغتراب النفسي وفقدان الانتماء والأمان لدى الشخصيات الروائية بسبب التوتر القائم داخل الفضاء العموم

الكلمات المفتاحية: الفضاء العمومي، الفعل التواصلية، العقلانية التواصلية

المقدمة:

يستمد الفضاء العمومي (Public Sphere) أهميته من كونه حيزاً تفاعلياً ومجالاً حيويًا لممارسة الحوار الديمقراطي الحر. ويستلزم هذا الحيز التفاعلي القائم بين الذات قناتٍ معرفية قادرةً على تحقيق الفهم، وحمل الموروثات الثقافية التي تعكس انتماء وهوية الجماعات الإنسانية وتمايزها العرقي. وتتمثل هذه القناة في اللغة؛ إذ يرى هابرماس "أن اللغة هي الممثل الرئيس للتواصل بين الأفراد في ظل وضع كلامي مثالي غير مشوه، يعتمد على التواصل بين الأفراد ونظام الحوار المستند إلى أدلة وحجج عقلية". (حسن، 2012، صفحة 131)، وفي خضم التحولات السياسية والاجتماعية المهمة، تبرز الحاجة إلى فهم الفضاءات العمومية التي تسمح للذات بالتعبير عن أفكارها وتطلعاتها، وفهم كل ما يعيق نضوج هذه الفضاءات الاجتماعية وتبلورها. وفي سياق رصد الحقب الزمنية التي عانى فيها العراق من الاستبداد والتدهور السياسي والاجتماعي والاقتصادي، برزت العديد من الروايات العراقية التي ركزت على مظاهر التشوّه التي طالت هذه الفضاءات؛ إذ تتحدد مهمة هذه الدراسة في رصد تلك المظاهر وتفكيكها، وبيان دورها السلبي الذي أسهم في تصدع حلقات التواصل العقلاني وانهيارها، سواء أكان ذلك بين الأفراد والسلطة، أو في إطار العلاقات بين الأفراد أنفسهم. ويمكن قراءة بعض الروايات العراقية التي صدرت بعد التغيير السياسي بوصفها نصّاً ثقافياً يكشف انهيار الفضاء العمومي وتشوّه البنية التواصلية للمجتمع؛ وتحليلها بحسب تداوليات اللغة "البراغماتية" التي تهتم بكيفية استخدام اللغة في التواصل الاجتماعي، فقد أخذت هذه الروايات على عاتقها مهمة إعادة إنتاج الذاكرة الجمعية وتعرية الخطاب السياسي المهيمن. وتتجلى أهمية الدراسة في عقدها صلاتٍ بين النظرية الفلسفية الاجتماعية والخطاب المحاكي للواقع الاجتماعي العراقي؛ إذ تسلط الضوء على العلاقة بين القمع السياسي وأزمة التواصل الاجتماعي، عبر تطبيق مقولات مشروع هابرماس المتمثل في (الفضاء العمومي) و(الفعل التواصلية). وقع اختيارنا على المنجز الروائي للروائي حميد المختار لكونه يمثل نصّاً إبداعياً يتقاطع فيه البُعد الذاتي بالشرط الموضوعي؛ إذ تتجاوز مدونته السردية حدود التخيل المحض لتقدم تمثيلاً محاكياً لتجارب عيانية خبر فيها الكاتب مكابدات الخطر ومظاهر الانهيار عن قرب. وتستمد هذه الأعمال أصالتها المفهومية من ملاستها المباشرة للواقع المأساوي للشعوب الخاضعة للشمولية، مما يتيح للمتقبل بؤرة رؤية "زاوية رؤيا" تتسم بالكثافة الواقعية والفاعلية الوثائقية، وتكشف في الوقت ذاته عن ديناميات القمع والاشتغال المضمّن داخل المنظومات السلطوية الاضطهادية. وتعددت الدراسات والأبحاث النقدية السابقة التي قاربت المنجز الروائي لـ "حميد المختار" من زوايا ثيمائية وسردية متميزة؛ ومن أبرزها: تجليات التصوف في التجريب الروائي العراقي: "رواية صحراء نيسابور للروائي حميد المختار أنموذجاً"، للباحث مرتضى حسين علي (المجلة العلمية للتربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، المجلد 14، العدد 58، كانون الأول 2022). و"تجليات التصوف في التجريب الروائي العراقي: رواية صحراء نيسابور للروائي حميد المختار أنموذجاً"، للباحث مرتضى حسين علي (المجلة العلمية للتربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، المجلد 14، العدد 58، كانون الأول 2022).

مفهوم الفضاء العمومي (public sphere) وجذوره التاريخية:

يرى بعض الباحثين أن الفضاء العمومي يمتلك ارتباطاً وثيقاً بالفكر الديني القديم؛ وهو مفهوم أعيدت صياغته ليتناسب مع مفهومي: "الصالح العام" المسيحي، و"مصلحة الأمة" الإسلامي. وما فكرة الفضاء العمومي الجديد إلا نتاجٌ لصورٍ أخرى من التراث، ومما لا شك فيه أن هذا التراث الجديد ذو الطابع المتميز قد يعمل على تفكيك تكاملية الأنساق الأقدم التي سعت إلى صياغة روابط اجتماعية واتصالية مستقرة (سالفاتوري، 2012، صفحة 38)، بل ذهب فريقٌ آخر إلى أبعد من ذلك بالقول إن الفضاء العمومي يتصل بالحضارات القديمة التي عرفت أشكلاً معينة من هذا الفضاء، إذ ورد بعدة صيغ؛ منها: الميدان والساحات العامة (سببلا و الهرموزي، 2017، صفحة 367)، فقد ظهرت ساحة «الأغورا» (Agora) بوصفها مركزاً للشؤون العامة في المدينة، والمركز المقدس لجموع المواطنين؛ إذ وُضعت في المواضع المؤدية إليها في القرن الرابع قبل الميلاد أو في فخارية تحتوي على الماء للتطهر الطقوسي، وكان يُمنع من دخولها الرجال الذين يعيشون حياة فاسدة أو المتهمون بجرائم القتل. كما كانت تُقام في

«الأغورا» طقوس تكريم الآلهة والأبطال، والمهرجانات، والمحاكم العلنية، فضلاً عن انعقاد الحلقات السياسية (ديفانبيه و آخرون، 2014، صفحة 50)، فيما يرى هابرماس أن الفضاء العمومي الذي بدأ بالظهور في القرن الثامن عشر قد تطور بوصفه فضاءً اجتماعياً متميزاً عن الدولة والاقتصاد والعائلة، ويمكن للأفراد فيه أن يتواصلوا فيما بينهم بوصفهم مواطنين مستقلين للتداول في الصالح العام. ومن الناحية النظرية، يظل الفضاء العمومي مفتوحاً بلا حدود، يُتاح فيه التعبير عن كافة الآراء وسماعها، ولا تحظى بالقبول فيه إلا المحاجات والأسباب التي تنال موافقة جميع المشاركين. أمّا في ظل وجود قمع السلطة، فإنه يتحول إلى فضاء اجتماعي تُستبدل فيه أشكال القوة المادية بآليات هيمنة يمارسها العقلانية الموجهة (هابرماس و آخرون، 2013، صفحة 22)؛ بيد أن "العمومية" التي أرساها كانت تمثل البداية الحقيقية للفضاء العمومي؛ إذ إن الأفعال السياسية -أي الأفعال ذات الصلة بحق الآخر- لا يمكن أن تتوافق مع الحق والأخلاق إلا إذا صادقت العمومية على قواعدها الذاتية. وتعدّ العمومية، بحسب رؤية كانت، مبدأً يمثل الهيئة القادرة على ضمان الوحدة بين الأخلاق والسياسة، والمبدأ الذي يوجه نظام الحق، وهي قبل كل شيء منهج الأنوار ذاته (الدريدي، 2010، صفحة 333).

ويستند المفهوم الحديث للفضاء العمومي عند هابرماس إلى فرضية التكامل بين الفلسفة وعلم الاجتماع واللسانيات وعلم النفس؛ فالفلسفة تمنح قوة التفكير لوصف الواقع وتحليله، بينما يحيل علم الاجتماع هذا التفكير إلى الواقع ليربطه به؛ إذ لا حاجة إلى فكر لا يتخذ من الواقع منطقاً له. أمّا اللسانيات وعلم النفس فيشتغلان على اللغة بوصفها الوسيط الرمزي بامتياز، وهو الأمر الذي من شأنه تعزيز قدرات الفرد على الكشف عن مكامن الخلل والزيغ في ذاته وفي خطاب غيره (مصدق، 2005، صفحة 158)، إذ تُظهر هذه الفرضية انحيازها إلى "العقل التواصلي" (Communicative Rationality) على حساب "العقل الأداتي". ويعود الفضل في هذا الانحياز إلى الاهتمام الكبير الذي أولاه الفلاسفة المعاصرون لفلسفة اللغة؛ إذ توصل هابرماس عبره إلى "المنعطف اللساني" الذي شغل معظم تيارات الفلسفة المعاصرة. والعقل التواصلي مفهوم صاغه هابرماس في محاولة لتنمية البعد الموضوعي الإنساني للعقل؛ وهو عقلٌ يمتلك فاعلية تتجاوز العقل المتمركز حول الذات، والعقل الشمولي المغلق الذي يدّعي الإحاطة بكل شيء، والعقل الأداتي الوضعي الذي يفتت الواقع ويجزّئه، ويحوّل كل شيء - حتى العقل نفسه - إلى موضوع جزئي (حسن، 2012، صفحة 135)، ويوصف الفضاء العمومي بأنه حلقة وصل بين السلطة والمجتمع، وفضاء للتعبير عن الإرادة العامة التي تضمن حرية تداول الأفكار بين الذوات؛ أي بين الأفراد الذين دُمجوا اجتماعياً عبر تواصلٍ يعترف فيه كل طرفٍ بالآخر (هابرماس، 1995، صفحة 475)، وهو ليس فضاءً قَبلياً أو محدداً سلفاً، بل يتبلور داخل التجربة التاريخية عبر الزمن عن طريق التفاعل بين الآراء والقيم؛ فلا هو فضاءٌ نختاره بأنفسنا، ولا نملكه لنفرضه بإرادتنا؛ إذ قد يوجد وقد يغيب. إنه يجمع ملايين المواطنين، ويمنحهم الشعور بالمشاركة الفعلية في الحياة السياسية؛ فهو إذن يشترط جمهوراً من نوع خاص، يتمتع بالسيادة والاستقلالية، وبالقدرة على البلورة الواضحة للأفكار والآراء والقيم عن طريق الحوار. وبهذا المعنى، يشكّل الفضاء العمومي الأرضية التي تؤسس للفضاء السياسي، حيث تكون الأولوية فيه لعملية اتخاذ القرار وتطبيقه (مقورة، 2015، الصفحات 142-143)، وبحسب هذه الرؤية، لا يرتبط الفضاء العمومي بأمكان جغرافية محددة، بل هو وظيفة اجتماعية ناتجة عن تفاعل المواطنين العقلانيين عبر وسائط مختلفة؛ بدءاً من الساحات العامة والمراكز الأدبية والمقاهي، وصولاً إلى وسائل الإعلام والتواصل الحديثة. وهو يتميز عن المكان الواقعي الذي يعبر عن بيئة جغرافية مادية وملموسة المعالم تمارس فيها الأنشطة الإنسانية وتتحدد بمعالم مادية وفيزيائية تختلف عن الأطر السرديّة المتخيلة والرمزية، وعلى الرغم من الانتقادات التي وُجّهت إلى طرح هابرماس للفضاء العمومي - والتي تمحورت حول انحصاره في الطبقة البرجوازية وإقصاء الفئات المهمشة - فإن ما يهم هابرماس من الفضاء العمومي البرجوازي هو بعده التحرري النقدي لا الأيديولوجي. وهو البعد الذي يعكس في مقاربةٍ عابرةٍ للتخصصات تدمج السوسيولوجيا والاقتصاد والفلسفة والقانون العام والفيلولوجيا والتاريخ الاجتماعي وتاريخ الأفكار؛ إذ إنّ الممارسة النقدية ليست حكراً على البرجوازية، بل يمكن لجميع المواطنين أن يمارسوا حقهم النقدي تجاه السلطة السياسية، وهو ما يُعبّر عن وعيهم ومسؤوليتهم الاجتماعية (الأشهب، 2013، صفحة 164).

ويتميز الفضاء العمومي عن المكان الواقعي الفعلي كون الأول هو مساحة اجتماعية تجريدية للنقاش العقلاني الحر، أما الآخر فهو بيئة جغرافية مادية ولموسة تقام فيها الأنشطة الإنسانية ويضم بعض المعالم المادية التي تميزها عن العالم السردي المتخيل والرمزي

نظرية الفعل التواصلي (Communicative Action):

ندرج نظرية الفعل التواصلي عند هابرماس ضمن مفاهيم الفلسفة الاجتماعية التي نشطت لدى الجيل الثاني لمدرسة فرانكفورت النقدية. وتتخذ هذه النظرية من اللغة وسيلة لها؛ إذ تُستخدم الأفعال الكلامية بوصفها وسطاً للتفاهم—من أجل إرساء العلاقات بين الذات وتجديدها. فمن خلال اللغة، يُقيم المتكلم صلةً مع العالم الخارجي الذي تولفه حالات الأشياء الموجودة، ومع العالم الاجتماعي الذي تولفه النظم المشروعة، ومع العالم الداخلي لاستحضار تجارب المعيش الذاتي؛ وذلك بهدف التفاهم حول الحالات والأحداث. فالفعل التواصلي هو نمطٌ من الأفعال الاجتماعية يسعى المشاركون فيه إلى تحقيق تفاهم متبادل بوساطة اللغة، لا إلى تحقيق أهداف غائية ذاتية أو فرض مصالح وفرض الآراء بصورة استبدادية من دون فحص مدى صلاحيتها في "العالم المعيش" (هابرماس، 2020، صفحة 497)، وتستند نظرية الفعل التواصلي بشكل رئيس إلى مفهوم «العقلانية التواصلية» الذي طوره هابرماس للحد من قدرة العقل الأداتي على مجازاة الواقع السياسي والاجتماعي في أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية. ويحمل مفهوم العقلانية التواصلية في طياته دلالات تُحيل في آخر المطاف إلى التجربة المركزية لقوة الكلام الحجاجي؛ تلك القوة التي تُوحّد من دون إكراه، وتصنع الإجماع، ويمكن المشاركون في نطاقها من تجاوز تصوراتهم الذاتية الأولية؛ ليتحققوا—بفضل تلك الشراكة—من وحدة العالم الموضوعي ومن توافقهم داخل السياق المعيش، عبر قناعات قائمة على تحفيز عقلائي متكافئ (هابرماس، 2020، صفحة 92).

إنّ من البديهي أن يكون لكل نظرية نقدية منهجٌ تعتمده في إخضاع نصوصها للتحليل؛ فقد كان لتأثر هابرماس بالبراغماتية وفلسفة اللغة الأثر البالغ في اختياره للتداولية اللسانية التي مكّنته من فهم كيفية استخدام اللغة في الواقع الاجتماعي، وهو ما يتوافق مع رؤيته الصائبة لنظرية الفعل التواصلي. فقد افترض أن كل فعل لغوي يعبر عن "زعم بالصلاحية"، وبعبارة أخرى: يحمل في ذاته اقتضاء اعترافٍ ما؛ إذ يتضمن كل ملفوظ قابليته للقبول أو الرفض على مستواه الخاص ضمن عنصره النوعي بواسطة الحاجة والبرهنة. وتشكل هذه الفرضية القاعدة الأساسية للسانيات متصورة بوصفها "تداولية صورية"؛ بمعنى كونها دراسة للشروط الضرورية للتفاعل، المفترضة من قبل المشاركين. وهي تتعلق بتحليل أقلّ تجريبيّة من التحليل الظاهري للتواصل. ومن وجهة نظر النظرية الاجتماعية، تفضي هذه المقاربة إلى نتيجتين؛ الأولى: افتراض أن التفاعل اللساني ينطوي على إمكانية قبول الملفوظ المقترح من الطرف الآخر أو رفضه، وهو ما يُعدّ تعبيراً بامتياز عن الحرية وعدم التحديد في اللعبة الاجتماعية. أما النتيجة الثانية فتتلخص في أن التبادل اللساني لا يشترط فقط انتساب المتخاطبين إلى جماعة معينة، بل يسهم في خلق روابط اجتماعية جديدة (هابرماس، 2012، صفحة 93).

مظاهر تشويه الفضاء العمومي في روايات حميد المختار:

يتجلى تشويه الفضاء العمومي في عدّة مظاهر أشار إليها هابرماس في مقاربتة لنظريتي الفضاء العمومي والفعل التواصلي، وتتلخص في: غياب المقومات الكفيلة بتشكيل حيز تواصلي عقلائي، مما يؤدي إلى انعدام الاتفاق على أخلاقيات معتمدة للنقاش. وفي هذا السياق، لا تُعامل اللغة بوصفها أداة للتواصل التفاهمي، بل تتحول إلى وسيلة للهيمنة والتلاعب؛ إذ لا يسلم التواصل من "استعمار" الأنساق له، فيغدو الفضاء العمومي خاضعاً لسلطات الأنساق السياسية والاقتصادية. ونتيجةً لذلك، يصبح الإجماع الحاصل إجماعاً زائفاً يعكس التزييف والقمع، ويُنتج رأياً عاماً مسلوب الإرادة يكتفي بدعم السلطة وتكريسها (المحمداوي، 2015، صفحة 263)، إن حضور هذه المعوقات لا يسهم في تشويه الفضاء العمومي فحسب، بل يؤدي إلى قطيعة معرفية بين الذات أنفسهم من جهة، وبين الذات والسلطة من جهة أخرى. وينتج عن ذلك فئتان: الأولى منقادة بسبب خوفها من السلطة وأدواتها، والثانية

منحازة بسبب موقفها الأيديولوجي المتماهي مع هذه السلطة. والأيديولوجيا - بحسب هابرماس - ظاهرة تصيب عملية إنتاج المعنى والدلالة في الخطاب الاجتماعي بالتزييف والانحراف (منصور، 2002، صفحة 259)، وسيفقد المجتمع فنة مهمة تتمثل في الفضاء العمومي الذي يراقب السلطة ويحاسبها على أفعالها، وسيغلب الشعور بالعزلة والاغتراب وغياب الإحساس بالانتماء الجمعي، كما سيغيب التفاهم العقلاني وتظهر الدعاية الموجهة وتبرز وسائل الإعلام السلطوية؛ فالصيغ المجتمعية التي تفشل في تشكيل فضاءاتها العمومية تخسر بالفعل قدرتها على الإصلاح الذاتي والمؤسسي.

وبما أن الرواية - بوصفها نصًا لغويًا متخيلاً - لها القدرة على إعادة كتابة الواقع؛ "وذلك لأن عالم النص - لأنه عالم - يدخل بالضرورة في تصادم قوي مع العالم الحقيقي، لكي يعيد صياغته إما بأن يؤكد وإما بأن ينكره"؛ كما يرى بول ريكور (ريكور، 2001، صفحة 13)، فتصبح الرواية أداة فاعلة في تشكيل الفضاء العمومي، لا بوصفها منصة سياسية دعائية، بل بوصفها فضاءً رمزيًا يتيح ظهور الصوت المقموع الذي يفصح آليات الاستبداد والقهر السلطوي.

وقد سعت بعض الروايات العراقية المعاصرة - التي صدرت بعد التغيير السياسي في العراق عام 2003 - إلى الكشف عن مظاهر تشويه الفضاءات العمومية إبان فترة الحكم السياسي الديكتاتوري الأتوقراطي؛ وذلك بوساطة تبيينها لأطروحات ما بعد الحداثة لنقد الواقع العراقي وتفكيك إشكالاته على مستوى الهوية والدين والطائفة، ونقد جدلية السلطة وعلاقتها الملتبسة بالمجتمع، إضافة إلى انشغالها بحفريات التاريخ المعاصر وتتبع الأثر الاجتماعي والثقافي وعلاقته بالتصادعات المؤلمة في واقع البنية الاجتماعية، فضلاً عن تحررها من تابوهات الجنس والدين والسلطة (سعدون، 2021، صفحة 14)، ومن الروائيين الذين كرسوا معظم أعمالهم الصادرة بعد عام 2003 لنقد الواقع العراقي إبان تلك الحقبة من تاريخ العراق الروائي حميد المختار؛ إذ وردت في روايته (مأوى الثبآن) محاكاة لهذا الواقع، حيث يسرد لنا الراوي إحدى الوقائع اليومية التي تعبر عن قسوة ممارسات السلطة الديكتاتورية لتحقيق ما تسميه بالأمن الداخلي، الذي يزيد من صمودها أمام هجمات الأعداء وجواسيسهم المتمثلين في معارضيها من الأفراد:

"أما إذا أراد الذهاب في مهمات خطرة فإنه يزيد من عدد أفراد حمايته... خصوصاً في المناسبات الدينية وأثناء إقامة الشعائر وأداء الزيارات في الأماكن والمراقد المقدسة هذه الأيام أصعب ما يمر بغالب ورفاقه فهم يتوقعون كل شيء لهذا تراهم محترسين مدججين بمختلف أنواع الأسلحة خصوصاً أسلحة قمع التظاهرات والتجمعات المناوئة للنظام ولأنهم خائفون مرعوبون فهم يهاجمون الشيوخ والعجائز والنساء بشكل عشوائي بهراواتهم الكهربائية مما يتسبب بسقوط الكثير من الناس تحت الأقدام الهلعة الهاربة فيؤدي ذلك إلى وفاة البعض منهم، ذات مرة أمر أحد ضباطه الصغار وهو ملازم أول بأن يملأ إحدى المنشآت الكبيرة بالمشاغبيين - هو يسمي الزوار مشاغبيين - وبعد أن تمتلئ يغادر بهم إلى معتقلات العاصمة الضاحجة بهم...". (المختار، 2013، صفحة 154).

يضعنا النص أمام موقف غابت عنه أهم شروط تشكيل الفضاء العمومي العقلاني الحر؛ إذ تحول هذا الفضاء - المتمثل في الأماكن المقدسة - إلى حيز قمعي، مُسيطر عليه من قبل أفراد السلطة، وتغير إلى فضاء هيمنة يحكمه منطق القمع والقتل. وتتجلى مظاهر تشويه الفضاء العمومي هنا في مظهرين؛ الأول: هيمنة السلطة بوساطة زيادة رجال الأمن والتسلح والاستعداد للمواجهة والاعتقال، وهو ما يُفسّر بأيديولوجيا السلطة القائمة على رفض العقيدة الدينية للزائرين، فضلاً عن توتر العلاقة بين السلطة والمجتمع وخضوعها للشك وغياب الثقة. والمظهر الثاني الذي أسهم في تشويه هذا الفضاء هو التوصيف اللغوي لأفراد المجتمع المتمثلين بالزائرين؛ فقد تعمّد "غالب" التلاعب باللغة حين وصفهم بـ (المشاغبيين) عند مخاطبته لأحد ضباطه. وهذا الإيهام اللغوي الدلالي مقصود؛ بهدف تعرية الزائرين من قيمهم الدينية العقائدية والأخلاقية، وتحويلهم إلى خونة معارضين أيديولوجيين. وتؤدي هذه التسمية أيضاً وظيفة لغوية إنجازية؛ إذ تبرر لأفراد السلطة كل ممارساتهم القمعية لا سيما القتل والاعتقال، وهو ما يدعوه هابرماس بالاستعمار البنيوي للحياة الاجتماعية.

أما وصف الراوي لأفراد السلطة بأنهم (محترسون، خائفون، مُرعبون)، فهو محاولة لفهم الواقع الدعائي الذي تمارسه السلطة؛ فعملية تزييف الحقائق المُحرّفة التي يتم تغذية أفراد السلطة ورجال الأمن بها تجعلهم يعيشون حالة من الخوف المستمر من هذه الفئة الاجتماعية، وتُعيد صياغتهم بوصفهم أعداء يجب الاحتراس منهم. ومما لا شك فيه أيضاً أن هذه الألفاظ تحيلنا إلى مسألة ضعف السلطة وخوفها للذين تخفي خلفهما ممارستها للقوة المفرطة

ومن الوقائع اليومية التي تعكس الإفراط في استخدام القوة والاستبداد ما يحدث في المعتقلات التي أضحت جزءاً مهماً من أجزاء تشييد هيكل الذاكرة الجمعية العراقية؛ إذ تسرد لنا رواية (حرائق أيروس) إحدى هذه الوقائع التي تتمثل في فرض مسألة الإذعان للرأي من قبل المستشار وتبريره بوصفه دافعاً نفسياً أو اجتماعياً للانحراف، فلا يمكن للمتلقي (المعتقل) سوى الموافقة والتأييد: "إن العوالم السفلية للبشر لها أشد حقيقة من الوجوه الزائفة التي يقدمونها لنا كل يوم سواء في اللقاءات الرسمية أو الجلسات والاخوانيات، انغمست تماماً في تلك العوالم لأنني وجدت أكثر صدقاً وحميمية وأخوة، فحتى بين الشواذ ليس ثمة كذب أو زيف أو خديعة، ولماذا الكذب والزيف ونحن نعيش عراة مع بعضنا دون مساحيق، لكننا حينما نريد الصعود إلى العوالم المزيفة نضع المساحيق الرسمية ونرتدي البدلات الانيقة ونضع ربطات العنق والعطور الغالية لنثبت للعالم أننا أبناء المدينة والحضارة... لا تسألني عن حياتي داخل الحزب، فأنا عمري لم أحب تلك الأجواء التي تبعث على التقرّز أنا لا أحبها ولكني وجدت من خلالها أنني أستطيع ممارسة حريتي الباطنية لأنها توفر لي المواد الخام لتلك المتعة...". (المختار حميد، 2018، صفحة 75).

إنّ من أهم ما ينجزه الفضاء العمومي هو وجود التفاهم المشترك بين المتحاورين، وهدم المسافة بين المراتب الطبقيّة والسياسية والاقتصادية بينهم؛ لكنّ ما سرده لنا الراوي لا يعبر عن تشكيل فضاء عمومي حر بين الأشخاص - على الرغم من وجود حوار قائم بينهم بصورة فعلية - لأن أحد طرفي الحوار يقوم بإدارته وتوجيهه بحسب رؤيته الخاصة، وطرفا الحوار أحدهما يستند إلى حريته وسلطته، والآخر مقمّوغ تحت إرادة هذه السلطة (مستشار/معتقل). أما ما يخص المشكلة التي يقوم عليها الحوار، فهي تدور حول الدوافع النفسية التي أسهمت في الشذوذ الجنسي للمستشار؛ إذ يرى أن الحزب هو من دفعه إلى هذا الانحراف الأخلاقي: "و حين كسبوني إلى الحزب وهناك صارت متعي كمتع السيدة الوالدة رخيصة وسهلة وتكاد تكون يومية وبلا كلفة أو جهد، إنما تأتي عبر تعليمات والتزامات تطبق بصرامة اثناء الاحتفالات". (المختار حميد، 2018، صفحة 74)، وإنّ تبرير المستشار - المتمثل في عقد مقارنة بين "العوالم السفلية" التي تتسم علاقاتها الداخلية بالصدق والحميمية، و"العوالم المزيفة" التي تمثل العلاقات داخل مؤسسات السلطة والحزب - هو مقارنة بين فضاءين لا يعكسان الواقع الاجتماعي المثالي أو الشعبي، وهي مقارنة فاقدة للشرعية؛ فـ "العوالم المزيفة" هي من قادته إلى "العوالم السفلية"، وعملية رفضه لفضاء السلطة الذي ينتمي إليه لا تبرر شذوذه ولا ممارساته القمعية والاستبدادية بحق المعتقلين والجمهور بشكل عام؛ إذ كان الحريّ به أن يكون انتقامه موجهاً للمؤسسات الحزب التي استخدمته ووالدته بوصفهما أدوات توفر المتعة لأفراد السلطة العليا؛ لأنه ضحية لهذا العالم، لا ضحية للمجتمع.

لقد تنوعت مظاهر تشويه هذا الفضاء العمومي، وأهمها أنه لا يمثل حيزاً للتواصل العقلاني؛ إذ غابت عنه الحرية التي تكفل تساوي المتحاورين في الحقوق، فضلاً عن عدم التزام أحد الطرفين بأخلاقيات النقاش؛ فالأخير (المستشار) لا يسمح للمعتقل بالسؤال: "لا تسألني عن حياتي داخل الحزب"، فقد أجاب عن سؤال افترضه ولم يطرحه عليه الطرف الآخر.

لكن المظهر الخاص بالتلاعب اللغوي والنفسي لكسب التعاطف كان له الدور الأكبر في تزييف هذا الحوار وانحرافه، وذلك بواسطة بعض الأوصاف والكلمات ذات الدلالات التأويلية مثل: "الوجوه الزائفة"، و"حميمية وأخوة"، و"نعيش عراة مع بعضنا دون مساحيق"، فضلاً عن رفضه للأجواء الحزبية التي وصفها بأنها "تبعث على التقرّز"، ومع ذلك يستمر في الانخراط داخل مؤسساتها؛ لأنها تتيح له تحقيق مصالحه الخاصة أو "حريته الباطنية".

وعلى الصعيد الدلالي أيضاً، حققت ثنائية (العري/المساحيق) رمزيةً تعبر - بحسب المستشار - عن التعارض بين الحقيقة والتمثيل؛ فالعري يحيل إلى الشفافية وغياب الأقنعة، في حين أن المساحيق والملابس الرسمية هي أدوات للتكيف مع المجتمع المدني

والحضاري. وكل هذه التناقضات تُشكّل جزءاً من التلاعب اللغوي والدلالي المقصود الذي يُحقق الاستعمار النبوي للحياة الاجتماعية داخل المؤسسة السلطوية.

للهولة الأولى، يظن القارئ أن النص يمثل رؤية المستشار وصوته فقط، دون أن تظهر رؤية المعتقل؛ إذ أسهم سياق النص في إبراز الوصاية الفكرية؛ فهو ينظر إلى الرأي الآخر من منظور استعلائي. ووفقاً لميخائيل باختين، فإن هذه الوصاية مصدرها خارج النص - سواء كانت ديناً، أم سياسة، أم أيديولوجياً، أم سلطةً أبوية - وتفرض نفسها بوصفها حقيقةً مطلقةً غير قابلة للنقاش أو التأويل؛ إنها تطلب الاعتراف بها والامتثال لها دون حوار (باختين، 1987، صفحة 108)، فقد تكفل النصُّ بنقل كلام المعتقل ورأيه دون شرح أو تفصيل:

"صدقني يا حامد وانت رجل راحل عن عالمنا غير مأسوف عليك.. اننا بناء العالم الجديد هذا العالم الذي قد تقول عنه انه عالم منهار متداع آيل إلى السقوط الحتمي لأنه فقد ارضيته الاخلاقية وتاريخه العريق وتراثه الإنساني وبات يستدعي سبلاً غير شرعية لاستجلاب عوامل الحضارة والحداثة" (المختار حميد، 2018، صفحة 78).

إنّ عملية طرح رؤية المعتقل (حامد) لا تعبر عن حقيقة الحيز الديمقراطي بصورة واضحة؛ فعملية النقل - التي يسبقها الفعل الإنجازي في عبارة: "صدقني يا حامد" الذي يسعى المستشار من خلاله إلى بناء الثقة واستمالة الطرف الآخر للحظةٍ ما - لم تنجح في استمالة القارئ أو المعتقل؛ إذ أظهر المستشار حقيقته مباشرة حين أردفها بـ: "وأنت رجلٌ راحلٌ عن عالمنا غير مأسوفٍ عليك". وهذا التصريح يحمل بين طياته قوةً إنجازيةً مضادةً للفعل الأول؛ إذ يسعى إلى الذم والتقريع ونفي القيمة الاعتبارية للمعتقل، فقوله هو تعبيرٌ عن فعله الوجداني الذي يحاول تأكيد النبذ الاجتماعي والإنساني للمخاطب، وعندها تتحقق الوصاية الفكرية بصورة قمعية في هذا الحوار المزيف:

"أنا لا أقول علينا حرق تابواتنا وطواطنا وسحق تواريخنا ورمي كنوز تراثنا في البحور ابداً، إنما أنا أحترم هذه الأشياء، لكن لا أستطيع أن أجعلها الشيء المهيمن الخارق الذي في غيابه لن أعيش حياتي ومستقبلي... لذلك عملت بما أستطيع على إلغاء قداست الأشياء المتخلفة وقد وافقتي الحزب على ذلك ليس لأنه حزب علماني، فحتى العلماني لديه من يجترمه ويقدمه ويصلي لأجله، لكن أن أجعل كل حياتي في مسجد أو مصحف أو بكاء أو لطم كما يفعل اخواتنا الشيعة في عزاءاتهم المستمرة طوال حيواتهم هذا شيء لا يطاق لأن الحياة شيء آخر تماماً". (المختار حميد، 2018، صفحة 78).

يقع السعي إلى تشكيل تصورات عقلانية ومفهومية للمحتويات الدينية والعقائدية والعرقية في صلب وظائف الفضاء العمومي؛ إذ يُمثل هذا الفضاء البنية التداولية التي تحتضن تبادل الججاج العقلاني بين الفاعلين الاجتماعيين، إعادة لبناء المفاهيم وتفكيكاً للتمثيلات المتصارعة عبر الحوار الحر المتكافئ، بعيداً عن الأبوية الفكرية والإقصاء المعرفي والهيمنة. فعملية إطلاق التعميمات وفرض الأيديولوجيا على المخاطب تندرج ضمن الدوغماتية (Dogmatism)، التي تعبر عن الوثوقية العقلية، وتؤدي - بحسب كانط - إلى التسليم بالمبادئ التي يعتمد عليها العقل من دون البحث في طبيعتها وشرعيتها وقيمتها، لتصل إلى حالة من الجمود الفكري والاعتقاد الجازم بامتلاك الحقيقة المطلقة، والتشبث الأعمى بالأفكار، ورفض مناقشتها أو تقبل الرأي الآخر بصرف النظر عن الأدلة المنطقية (سعيد، 1994، صفحة 191)، وهذا النص يعبر عن التحول من حوار الأفكار الافتراضي المسيطر عليه من أفراد السلطة، إلى مرحلة إصدار الأحكام النهائية بحق فئة اجتماعية معينة.

أما الأفعال التقريرية والتصريحية التي تضمنها النص والصادرة عن المستشار، فهي تعبر عن مطابقة القول للفعل على مستوى القصدية التداولية؛ فإنه حين يبدي احترامه للتراث والمقدسات، يسعى إلى خلق صورة شخصية معتدلة لتقليل رد الفعل ورفض الخطاب لدى المخاطب منذ البداية، لكنه لم يستطع البقاء طويلاً داخل هذا الإطار المعتدل؛ إذ سرعان ما تراجع بعد استعمال التعميمات التعسفية التي أطلقها بحق هذه الفئة الاجتماعية المهمة، وفشل في عملية إيصال رسالته منتجاً دلالة عكسية؛ فقد أظهر تأثيره بأيديولوجيا السلطة التي ينتمي إليها، وبالمفهوم العقدي لطائفته التي تخالف رؤية الفئة الاجتماعية المستهدفة.

وفي رواية (تابو) يظهر أحد المواقف معبراً عن تشكّل فضاءٍ عموميٍّ يحرص على ضمان حرية المتحاورين وديمومة التواصل بينهما، لكنّ هذا الحوار سيكون بمعزل عن العقلانية التي تسعى إلى تحقيق المصلحة العامة؛ فهو فضاءٌ يحقق المصلحة الفردية فحسب:

"- هذا القاصّ النباش دائماً ينبش بأنفه... أما صديقه الحشاش فقد أسره بأنّه وجد طريقة لكسب المال من خلال الفوز في المسابقات الأدبية التي تقام داخل البلد وخارجه، انبهر النباش متسائلاً: كيف يعود علمني.. قال الحشاش...

- نقرأ شروط الدخول في المسابقات جيداً ونلتزم بها في كتابة نصوصنا السردية افتهمت؟

- وضح أكثر

- في المسابقات التي تقام داخل العراق نكتب عن بطولات الحشد.

قاطعته النباش:

- تقصد كما كنا نكتب عن بطولات الجيش الشعبي في زمن صدام.

- أحسنت، هو نكتب نفس الشيء، الآن نكتب عن الحشد والشهداء

- الشهداء أكثر منا جميعاً هه هه هه ضحك الأثنان متذكرين كتاباتهم في ذلك الزمن التي حصلوا من خلالها على

مكافآت مجزية وجوائز كثيرة" (المختار، 2020، الصفحات 254-255).

بالرغم من أن بنية النص تتخللها السخرية التي تعبر عن العلاقة النفعية بين الأديب والسلطة، إلا أن هذا النص يعكس أحد مظاهر تشويه الفضاء العمومي الذي يقتضي تقديم المصالح الفردية على المصلحة العامة؛ إذ تتجلى المصلحة الفردية في: أولاً: صياغة الخطاب الأدبي بحسب الشروط المعلنة للمسابقة ومواءمة النصوص معها سعياً منها لنيل المكافأة المادية، وثانياً: الخضوع للهيمنة المادية على النتاج الأدبي وغياب القناعة والحرية في اختيار الموضوع، وثالثاً: استمرار هذه المصلحة الفردية مع تعاقب الأنظمة السياسية، وهو ما يعبر عن الرغبة الشخصية في تطويع الأدب ضمن القوالب السياسية.

فقد غابت آليات ضغط السلطة الموجهة للكتابة القسرية المباشرة، وبرزت عملية الامتثال وتحقيق المكاسب الشخصية. وبحسب تداولية اللغة، لا تقتصر أهمية الخطاب على معناه الحرفي، بل تتعداه إلى القصدية التي تظهر في السياق؛ فالأمر في عبارة: "نقرأ شروط الدخول في المسابقات جيداً ونلتزم" لا يعبر عن الوصف فحسب، بل يؤدي وظيفة التوجيه والإرشاد إلى الاستراتيجية السلوكية التي سيتبعانها "أو سيتبعونها" للمشاركة في هذه المسابقة. أما الفعل الإخباري في: "وجدتُ طريقة لكسب المال" فهو تقديم لمعلومة ظاهرة تسعى لإقناع المتلقي بهذا السلوك. وحين ترتبط مصالح الشخصيتين بالامتثال للشروط، فإنهما يبعثان برسالة ضمنية تتلخص في أن معيار الإبداع لا يرتبط بالقيمة الفنية، بل برضا الجهة المنظمة التي ستقيم العمل وفقاً لهذه الشروط.

والنص لا يقف عند الحط من قيمة الأديب الذي يضع نفسه رهينة القوالب السياسية والنفعية الجاهزة فحسب، بل يتعداه للكشف عن واقع الأدب والإبداع في ظل الممارسات السلطوية التي تجعل من الأدب وسيلة دعائية تخدم أيديولوجياتها وسياساتها الداخلية والخارجية؛ فعملية تشكيل اللجان ووضع شروط المسابقات والمراقبة ما هي إلا وسائل لتوجيه النتاج الأدبي ليكون ضمن سياق خطابها السياسي الموجه لعامة الناس. ومن جهة أخرى، فهو يوجه نقداً للواقع الأدبي المنفلت الذي غابت عنه الرقابة الأدبية الرصينة بعد التغيير السياسي؛ فقد شهدت هذه المرحلة ظهور مئات الكُتّاب والأعمال التي لا تمتّ بصلة إلى الأدب والثقافة، إذ إنها أعمال خاضعة لإملاءات فكرية وسياسية منحرفة، أو أيديولوجيات فئوية وطائفية داخلية وخارجية:

"سيدي الزعيم أود أن أسألك ولكنني أشعر بالحرج قال: - اسأل ما بدا لك أنا مستعد! قلت: - لماذا فعلت كل هذا الذي

انقلب عليك في أخريات أيامك؟ بقي الزعيم واجماً فلم ينطق لكنه تساءل:

- أوضح لي سؤالك من فضلك لم افهمه؟ قلت: كانت الامور في عهد الملك الشاب هادئة والوضع يشوبه السلام

والاستقرار فما الذي دعاك الى تغيير الوضع القائم آنذاك؟ نظر الي نظرة بعينين تستغوران زمناً مضى من خلال تفرسه الطويل في وجهي ثم قال:

- أولاً أنا لم أשא قتل الملك الشاب لأنه برئ من كل شيء لكن الثوار الغاضبين اقتحموا القصر من غير ان يتسلموا أوامري وقتلوا العائلة المالكة، لقد أسفت حقاً على الملك وكذلك على الاميرة". (المختار حميد، 2016، صفحة 163).

حسب رؤية هابرماس، يفقد الفضاء العمومي طابعه العقلاني حين تهيمن السلطة والعنف أو الأيديولوجيا على التواصل بين الأفراد الذين يتمتعون بالحرية. وقد أظهر النص عدة مؤشرات تجعلنا نفترض تشوّه الحيز الافتراضي للفضاء العمومي، ومنها: أن الحوار مبني على مبدأ عدم التكافؤ بين الأطراف المتحاورّة؛ وهو ما أدى إلى التردد في عملية السؤال الذي بدأ به المتكلم: "أود أن أسألك ولكنني أشعر بالحرج"؛ فالشخص المخاطب هو شخصية سياسية تتمتع بالسلطة الرمزية "الزعيم"؛ لذا فإن عملية السؤال يشوبها الحذر.

وبالرغم من أن عقد مثل هذا الحوار يمثل بحد ذاته المثالية الديمقراطية، إلا أن هيمنة السلطة والقوة ستبقى مسيطرةً على شرعيته، ونلمس ذلك من خلال تبرير الزعيم لكل ما حدث؛ فقد أخلى مسؤوليته عن قتل الملك والاميرة وأبدى أسفه في قوله: "الثوار الغاضبون اقتحموا القصر من غير أن يتلقوا أوامري". وهذا التبرير لا يعفيه من المسؤولية بشكل منطقي؛ فهو قائد لذلك الانقلاب الذي لا بد له من تخطيط وتجهيز مسبق، لكن سلطته بوصفه محاوراً مهيمناً تجعله غير قابل للاتهام.

وستبقى الحقيقة في مثل هذه الأحداث التاريخية مبهمّة؛ لأنها تفتقد الدقة والمعالجة المحايدة لتفسير ما حصل فعلياً في تلك الحادثة، أما تأويلها فهو مباح أمام جميع الأيديولوجيات المؤيدة والرافضة؛ إذ إننا نجهل الدوافع الحقيقية التي تقف خلف مثل هذه الأحداث الحساسة، وهو ما ظهر جلياً في سؤال المتكلم: "كانت الأمور في عهد الملك الشاب هادئة والوضع يشوبه السلام والاستقرار، فما الذي دعاك الى تغيير الوضع القائم آنذاك؟"؛ فهو تشكيك بالمرويات واتهام ضمني للزعيم؛ لأن الأوضاع كانت هادئة ومستقرة. وقد يفهم السؤال بأنه محاولة لتبرئة الزعيم من كل ما حدث بعد الانقلاب من وقائع، ومنها: قتل الزعيم نفسه:

"قلت له: - لكن الذي حدث بعد ذلك ان الاضطرابات استمرت وأودت بحياة الكثيرين بما فيها حياتك انت!!

قال: يبدو أن هذه حتمية ستحدث رغماً عنا! أما بالنسبة لي فقد كان الأمر واقعاً ومحسوماً لا محالة ولو لم أقم أنا

بالانقلاب لقام غيري به!!"

- لكن سيادة الزعيم بعد ذلك الأمور انقلبت عليك!

- المهم أنا نقلت شعبي من حال إلى حال!!

- وماذا حصل الناس بعد ذلك تركتهم عرضة لمؤامرات خبيثة وانظمة فاسدة وعميلة". (المختار حميد، 2016،

الصفحات 163-164).

إنّ عملية الاستعمار البنوي للحوار تتجلى في التلاعب اللغوي المتمثل في التبرير والاحتمية القدرية التي دفعته إلى القيام بهذا الواجب السياسي لإنقاذ المجتمع؛ إذ برر الزعيم فعل الانقلاب بأنه أمرٌ لا بد منه: "ولو لم أقم أنا بالانقلاب لقام غيري به". وتُظهر هذه الإجابة الفجوة المعرفية بين سؤال المتكلم ورؤية الزعيم؛ فالمتكلم يربط الانقلاب بالفوضى وسقوط الضحايا، بينما يصرّ الزعيم على تبرير أفعاله. وهذا التعارض يعكس انهيار التفاهم وهيمنة الاختلاف.

وقد تكررت الفجوة ذاتها في رد الزعيم الآخر، والذي يمثل تبريراً آخر لما حدث بعد الانقلاب: "المهم أنني نقلت شعبي من حالٍ إلى حال". وإصرار الزعيم على التبرير هو سلوكٌ موجّه نحو إنجاح الفعل التواصلّي الظاهري باستخدام مفاعيل التأثير بالقول (Perlocutionary effects)، وهو ما يُوصف بالتلاعب بالتأثير الآخر. (هابرماس، 2020، صفحة 530)، وهذا ما يسعى إليه المتكلم أيضاً؛ إذ يريد فرض نتيجة نهائية لما حدث تتلخص بانحراف الانقلاب أو الثورة عن مسارها الأول؛ فقد أصبحت وبالأول ونقمةً على المواطنين بعد أن قُتل الزعيم، فظهرت العديد من الآراء التي حملت الزعيم كل ما مرّ به البلد من أزمات سياسية.

وهذا التعارض الافتراضي الذي يجمع بين رأي المتكلم والزعيم، يجعل الاستلزام الحوارى للنص خاضعاً للمضمرات، ويوجه الحوار إلى فضاء التأويل ويبعده عن التقاهم؛ فالأصل في الموقف الخطابى المثالى أو الحالة المثالية للكلام أن يكون مُسلماً بهما في كل تواصل؛ إذ تفترض البنية المعيارية لفعل الاتصال مسبقاً ألا يُطلق الكلام على عواهنه، وأن يتضمن بالضرورة الصدق والمسؤولية والحرية في أداء شيء ما، بحيث تضم قضايا المتكلم اللغوية الدليل على صلاحيتها، وتقديم الحجة والبينة على القول (مصدق، 2005، الصفحات 144-145).

نتائج البحث:

أسفرت الدراسة النقدية التحليلية لروايات حميد المختار، عن جملة من النتائج المعرفية والبنوية المهمة، التي تبلورت ضمن المسارات والمحاور الآتية:

- لا تقدم الروايات حيزاً افتراضياً يضمن تشكّل الفضاء العمومي الحر، بل تقصص عن فضاءٍ مأزوم يعكس اضطراب الواقع السياسى والاجتماعى.
- يتضمن تشويه الفضاء العمومي عملية التشوّه المكاني؛ ويتجلى ذلك من خلال فقدان الشوارع والساحات والأحياء والمؤسسات العامة لوظيفتها التواصلية الافتراضية، إذ تحولت إلى فضاءات تتخللها مظاهر الخوف والقمع والعزلة.
- كشفت الروايات عن العلاقة الوثيقة بين تشويه الفضاء العمومي وآثار الحروب والممارسات القمعية للسلطة؛ إذ يصبح المكان شاهداً على الخراب المادي والنفسي الذي يصيب الأفراد والجماعات.
- أظهرت الدراسة أن الشخصيات الروائية تعيش علاقة متوترة مع الفضاء العمومي؛ إذ تتسم حركتها داخله بالحدز والاعتراب وفقدان الشعور بالأمان والانتماء.
- أبانت الروايات عملية تداخل الفضاءين العام والخاص، بحيث تنتقل آثار التشوّه من المجال العمومي إلى الحياة الشخصية للشخصيات؛ مما يعكس شمولية الأزمة التي يطورها الكاتب.
- برهنت الدراسة على أن الفضاء العمومي المشوّه يشكل عنصراً بنائياً أساسياً في تشكيل الرؤية الفكرية للروايات؛ إذ يُستخدم أداة لنقد الواقع والكشف عن مظاهر التفكك الاجتماعى والسياسى.
- خلصت الدراسة إلى أن تشويه الفضاء العمومي يمثل استراتيجية فنية وجمالية اعتمدها الكاتب لتجسيد التحولات العميقة التي شهدتها المجتمع العراقى وما نتج عنها من أزمات وجودية وإنسانية.

الخاتمة:

استناداً إلى ما أسفرت عنه هذه الدراسة من تفكيك وتحليل للنصوص السردية، تتوجّه النتائج إلى تأكيد أنّ الروايات المدروسة لم تُقدّم حيزاً افتراضياً يضمن تشكّل فضاءٍ عموميٍّ حرٍّ، بل أفصحت عن فضاءٍ مأزوم يعكس اضطراب الواقع السياسى والاجتماعى. وقد تجلّى ذلك عبر تشوّه مكانيٍّ فقدت فيه الشوارع والساحات والأحياء والمؤسسات العامة وظيفتها التواصلية، لتحولها السلطة الاستبدادية وآثار الحروب إلى مساحاتٍ محكومة بمظاهر الخوف والقمع والعزلة، ومحملة بشواهد الخراب المادي والنفسي الذي طال الأفراد والجماعات.

وأظهرت التحليلات التداولية والنقدية أنّ الشخصيات الروائية عاشت علاقةً متوترةً مع الفضاء العمومي، اتسمت بالحدز والاعتراب وفقدان الأمان والانتماء، وهو ما أدى بالضرورة إلى تداخلٍ بنوي بين الفضاءين العام والخاص؛ فنقلت آثار التشوّه التواصلية من المجال العمومي إلى الحياة الشخصية، لتكشف عن شمولية الأزمة الوجودية التي صاغها الكاتب.

وختاماً، تُبين الدراسة أنّ الفضاء العمومي المشوّه لم يكن مجرد خلفية أحداث، بل شكّل عنصراً بنائياً واستراتيجيةً فنيةً وجماليةً اعتمدها الكاتب لتجسيد التحولات العميقة في المجتمع العراقى؛ إذ تُحقّق الإضافة العلمية لهذه الدراسة إثباتها أن الرواية

العراقية - بعد تخلصها من سطوة الرقيب - اتخذت من هذا التشوّه أداةً نقدية كشفت عن مظاهر التفكك الاجتماعي والسياسي، وألقت الضوء على إرهابات تشكّل الفضاءات العمومية البديلة القائمة على التفاهم والتواصل العقلاني في ظل تعقيدات الفواعل التاريخية والثقافية.

المصادر:

1. أبو النور حمدي حسن. (2012). *يورجين هابرماس الأخلاق والتواصل*. بيروت: التنوير للطباعة والنشر والتوزيع.
2. أرماندو سالفاتور. (2012). *المجال العام الحداثّة الليبرالية والكاثوليكية والإسلام* (المجلد الأول). (أحمد زايد، المترجمون) القاهرة: المركز القومي للترجمة.
3. أشرف حسن منصور. (ديسمبر، 2002). *نظرية هابرماس في المجال العام*. أوراق مصرية، الصفحات 251-264.
4. المختار حميد. (2016). *أعوام الذنب* (المجلد الأول). بغداد: دار الكتاب العربي.
5. المختار حميد. (2018). *حرائق ابروس* (المجلد الأول). بغداد: دار سطور للنشر والتوزيع.
6. بول ريكور. (2001). *من النص إلى الفعل أبحاث التأويل* (المجلد الأول). (محمد برادة، و حسن بورقية، المترجمون) القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.
7. بيير ديفانبيه، وآخرون. (2014). *معجم الحضارة اليونانية القديمة/ ج 1* (المجلد الأول). (أحمد عبد الباسط حسن، المترجمون) القاهرة: المركز القومي للترجمة.
8. جلال الدين سعيد. (1994). *معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية*. تونس: دار الجنوب للنشر.
9. جلول مقورة. (2015). *الفعل التواصل في عند هابرماس بين التنظير الفلسفي والتطبيق السياسي* (المجلد الأول). بيروت: بيسان للنشر والتوزيع.
10. حسن مصدق. (2005). *يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت النظرية النقدية التواصلية* (المجلد الأول). الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
11. حميد المختار. (2020). *رواية تابو* (المجلد الأول). بغداد: دار سطور للنشر والتوزيع.
12. حميد المختار. (2013). *مأوى الثعبان* (المجلد الأول). بغداد: دار عدنان.
13. خمسي الدريدي. (2010). *المعقولة والحداثّة لدى هابرماس*. تونس: جامعة تونس.
14. ستيغان هابر. (2012). *هابرماس والسوسيولوجيا* (المجلد الأول). (محمد جديدي، المترجمون) بيروت: منشورات ضفاف.
15. علي عبود الموحداوي. (2015). *الإشكالية السياسية للحداثّة من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل* (المجلد الأول). بيروت: منشورات ضفاف.
16. علي سعدون. (10، 4، 2021). *قدرة الرواية العراقية على كسر التابوات القديمة*. جريدة الصباح، أرشيف جريدة الصباح.
17. محمد سبيلا، و نوح الهرموزي. (2017). *موسوعة المفاهيم الأساسية في العلوم الإنسانية والفلسفة* (المجلد الأول). الرباط: المركز العلمي العربي للأبحاث والدراسات الإنسانية.
18. محمد عبد السلام الأشهب. (2013). *أخلاقيات المناقشة في فلسفة التواصل لهابرماس* (المجلد الأول). عمان: دار ورد الاردنية للنشر والتوزيع.
19. ميخائيل باختين. (1987). *الخطاب الروائي* (المجلد الأول). القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع.

20. يورغن هابرماس. (1995). *القول الفلسفي للحدث*. (فاطمة الجيوشي، المترجمون) دمشق: منشورات وزارة الثقافة السورية.
21. يورغن هابرماس. (2020). *نظرية الفعل التواصلي المجلد الأول عقلانية الفعل والعقلنة الاجتماعية* (المجلد الأول). (فتحي المسكيني، المترجمون) قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
22. يورغن هابرماس، و آخرون. (2013). *قوة الدين في المجال العام* (المجلد الأول). (فلاح رحيم، المترجمون) بغداد: مركز دراسات فلسفة الدين.

Sources and references:

1. Abu al-Nur, H. H. (2012). *Jürgen Habermas: Ethics and Communication* [Jürgen Habermas al-akhlaq wa-al-tawasul]. Beirut: Al-Tanweer for Printing, Publishing and Distribution..
2. Salvatore, A. (2012). *The Public Sphere: Liberal Modernity, Catholicism, and Islam* [Al-majal al-am: al-hadatha al-libiraliya wa-al-kathulikiya wa-al-Islam] (1st ed.). (A. Zayed, Trans.). Cairo: National Center for Translation.
3. Mansour, A. H. (2002, December). Habermas's Theory of the Public Sphere [Nazariyat Habermas fi al-majal al-am]. *Awraq Misriya [Egyptian Papers]*, 251–264.
4. Al-Mukhtar, H. (2016). *Years of the Wolf* [A'wam al-zhi'b] (1st ed.). Baghdad: Dar Al-Kitab Al-Arabi.
5. Al-Mukhtar, H. (2018). *Fires of Eros* [Hara'iq Eros] (1st ed.). Baghdad: Dar Satour for Publishing and Distribution.
6. Ricoeur, P. (2001). *From Text to Action: Essays in Hermeneutics* [Min al-nass ila al-fi'l: abhath al-ta'wil] (1st ed.). (M. Barrada & H. Bourkia, Trans.). Cairo: Ain for Human and Social Studies and Research.
7. Devambez, P., et al. (2014). *Dictionary of Ancient Greek Civilization: Vol. I* [Mu'jam al-hadara al-yunaniya al-qadima: Vol. 1] (1st ed.). (A. A. Hassan, Trans.). Cairo: National Center for Translation.
8. Said, J. (1994). *Dictionary of Philosophical Terms and Evidences* [Mu'jam al-mustalahat wa-al-shawahid al-falsafiya]. Tunis: Dar Al-Janoub for Publishing.
9. Maqoura, J. (2015). *Communicative Action According to Habermas: Between Philosophical Theorization and Political Application* [Al-fi'l al-tawasuli inda Habermas bayna al-tanzir al-falsafi wa-al-tatbiq al-siyasi] (1st ed.). Beirut: Bisan for Publishing and Distribution.
10. Moussaq, H. (2005). *Jürgen Habermas and the Frankfurt School: The Critical Communicative Theory* [Jürgen Habermas wa-madrasat Frankfurt: al-nazariya al-naqdiyya al-tawasuliya] (1st ed.). Casablanca: Al-Markaz Al-Thaqafi Al-Arabi.

11. **Al-Mukhtar, H. (2020).** *Taboo: A Novel* [Riwayat Taboo] (1st ed.). Baghdad: Dar Satour for Publishing and Distribution. [In Arabic].
12. **Al-Mukhtar, H. (2013).** *The Serpent's Shelter* [Ma'wa al-thu'ban] (1st ed.). Baghdad: Dar Adnan.
13. **Al-Duraiddi, K. (2010).** *Rationality and Modernity in Habermas* [Al-ma'quilya wa-al-hadatha lada Habermas]. Tunis: University of Tunis.
14. **Haber, S. (2012).** *Habermas and Sociology* [Habermas wa-al-susiulujia] (1st ed.). (M. Jadidi, Trans.). Beirut: Dhafaf Publishing.
15. **Al-Muhammadowe, A. A. (2015).** *The Political Problematic of Modernity: From the Philosophy of the Self to the Philosophy of Communication* [Al-ishkaliya al-siyasiya lil-hadatha: min falsafat al-zhat ila falsafat al-tawasul] (1st ed.). Beirut: Dhafaf Publishing.
16. **Saadoun, A. (2021, April 10).** The Ability of the Iraqi Novel to Break Old Taboos [Quadrat al-riwaya al-iraqiya ala kasr al-tabooat al-qadima]. *Al-Sabah Newspaper (Al-Sabah Archive)*.
17. **Sabila, M., & Al-Hermozi, N. (2017).** *Encyclopedia of Core Concepts in Humanities and Philosophy* [Mawsu'at al-mafahim al-asasiya fi al-ulum al-insaniya wa-al-falsafa] (1st ed.). Rabat: Arab Scientific Center for Research and Human Studies.
18. **Al-Ashhab, M. A. (2013).** *Discourse Ethics in Habermas's Philosophy of Communication* [Akhlaqiyat al-munaqasha fi falsafat al-tawasul li-Habermas] (1st ed.). Amman: Dar Ward Al-Urduniya for Publishing and Distribution.
19. **Bakhtin, M. (1987).** *The Dialogic Imagination / Novelistic Discourse* [Al-khitab al-riwa'i] (1st ed.). Cairo: Dar Al-Fikr for Studies, Publishing and Distribution.
20. **Habermas, J. (1995).** *The Philosophical Discourse of Modernity* [Al-qawl al-falsafi lil-hadatha]. (F. Al-Jiyoushi, Trans.). Damascus: Publications of the Syrian Ministry of Culture.
21. **Habermas, J. (2020).** *The Theory of Communicative Action: Vol 1. Reason and the Rationalization of Society* [Nazariyat al-fi'l al-tawasuli: Vol 1. Aqlaniyat al-fi'l wa-al-aqlnah al-ijtima'iya] (1st ed.). (F. Al-Meskini, Trans.). Qatar: Arab Center for Research and Policy Studies.
22. **Habermas, J., et al. (2013).** *An Awareness of What is Missing: The Power of Religion in the Public Sphere* [Quwat al-din fi al-majal al-am] (1st ed.). (F. Rahim, Trans.). Baghdad: Center for Studies of Philosophy of Religion.